مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة

العدد السابع شوّال –ذو الحجة ١٤٢٤ هـ ديسمبر– فبراير ٢٠٠٤ م

- مركز المناخة الحضري ذاكرة حية لتراث المدينة
- رواد علم السيرة في المدينة
- فخري باشا والدفاع عن المدينة : ملحمة ومأساة
- البيوت التقليدية في المدينة المنورة
  أثر مواد البناء وأساليبه في تجانسها العمراني
- شد الأثواب في سد الأبواب للسيوطي (تحقيق)

من أعلام المدينة
بشير بن سعد الأنصاري (أبو النعمان)
رضي الله عنهما

محمد علي كاتبي
مدرس لغة عربية بالمدينة المنورة

نسبه وكنيته **هو** : الصحابي الجليل بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس[١] بن زيد بن مالك (الأغر)[٢] ، بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن حارثة بن ثعلبة ... إلى قحطان[٣] ، أبو النعمان الأنصاري الخزرجي[٤] .

كنيته : أبو النعمان ، والنعمان - ابنه - صحابي أيضًا ، وبه كان يكنيه رسول الله ﷺ ، فكثيرًا ما يناديه : « يا أبا النعمان . »[٥] ، فيجيبه : « لبيك يا رسول الله ... »[٦] .

---

(١) الجلاس : تتوزع في هذا الاسم بين الجيم والخاء . ، فهو (الخلاس) ، بالخاء المعجمة المفتوحة ، وتثقيل اللام ، صيغة مبالغة من (خلس) ، عند الدارقطني ، وابن الأثير في أسد الغابة ٣٢٦/٥ ، و ابن سعد في الطبقات ٥٣١/٥ ، وابن عبد البر في الاستيعاب ١٤٩/١ ، وابن قدامة في الاستبصار ، ص ١٢٢ . وابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق ١٦٢/٦ .
على حين هو (الجلاس) بالجيم المخففة المضمومة : عند ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٤ ، وعند ابن حجر في الإصابة ١٥٨/١ ، وكذا أثبتها الصالحي في السيرة الشامية ٢١٥/٣ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٤ . الاستبصار ، ص ١٢٢ .

(٣) ابن عبد البر ، الاستيعاب ١٤٩/١ ، ٥٥٠/٣ . ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ٣٦٤ . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٥٣/٦ . الإصابة ٥٥٩/٣ .

(٤) الاستيعاب (على حاشية الإصابة) ١٤٩/١ .

(٥) مغازي الواقدي ٤٤٠/٢ ، السيرة الشامية ٣٥٥/٤ .

(٦) السابق نفسه .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أمه : أُنيسة بنت خليفة بن عدي بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الأغر ، الأنصارية الخزرجية[١] ، وبجدها - مالك هذا - يلتقي نسبها بزوجها : سعد بن ثعلبة .

أسرته وبيت بشير بن سعد ﷺ من البيوتات الخزرجية الكريمة ، ومن الأسر العريقة ، ذات الجاه واليسار ، والعز والرياسة . وقد عنيت بتربية أبنائها على فنون القتال والفروسية ، وأرضعتهم لبان الحصافة والثقافة ؛ لينشؤوا متفتحي العقول ، حديدي الأذهان ، يقرؤون ويكتبون ، في عهد كانت الأمية فاشية فيه ، فنبغوا شعراء نابهين ، وخطباء فصحاء .

فبشير بن سعد شاعر ، وأبوه شاعر ، وأولاده شعراء ، وزوجه : عمرة بنت رواحة (أخت عبد الله بن رواحة) شاعرة أيضًا ، وأخوال أولاده شعراء ؛ منهم الصحابي الأمير عبد الله بن رواحة شاعر ، وأحفاد البشير وحفدته كلهم شعراء ، ولأسرتهم في الشعر أنداد .

وكذلك كانت بعض البيوتات العربية ؛ كبيت حسان بن ثابت الأنصاري ، وبيت زهير بن أبي سلمى المزني .، وغيرهم[٢] .

إسلامه لم يكن لبشير بن سعد قبل الإسلام أثر يذكر - حسب علمي وفيما وقفت عليه من المصادر التي بين يدي - ؛ فلما أضاء الإسلام قلبه منذ الساعات الأُوَل لوصول سفير الإسلام الأول مصعب بن عمير إلى المدينة ، برزت هذه الشخصية المتميزة فكان «أول من أسلم من الأنصار»[٣] ، برزت هذه الشخصية المتميزة ، وبذلك نرى أن الإسلام هو الذي صنع هذا العلم المدنيّ الفذ .

بشير بن سعد في الإسلام ومنذ شرح الله صدر بشير للإسلام ، إلى أن اتخذه الله شهيدًا في معارك الفتوح في (عين التمر) ؛ ما فتئ جنديًا مخلصًا للإسلام ، يندبه الرسول صلوات الله وسلامه عليه للمعارك وقيادة الغزوات ،

(١) ابن سعد ، الطبقات ٥٣٢/٣ .
(٢) ابن رشيق ، العمدة ٣٠٦/٢ .
(٣) البداية والنهاية ٣٥٨/٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهو يجيب : « لبيك يا رسول الله » ، ثم ما يؤوب من غزاة إلا إلى نفير . حتى لقي ربه راضيًا مرضيًا ، ﷺ .

تجهز النفر الأنصار إلى مكة - قبل الهجرة - لمبايعة النبي الكريم ، عليه الصلاة والسلام في العقبة ، فكان بشير بن سعد على قومه . ثم عاد إلى المدينة ؛ ليؤدي إلى قومه رسالة الرسول الكريم ﷺ ، فكان يتخلل جماعاتهم ، يدعوهم إلى الإسلام ، وكان نعم النصير لسفير رسول الله ﷺ ؛ مصعب بن عمير رضي الله تعالى عنه . فما استدار العام ، حتى فشا الإسلام في المدينة ، وأخذ بشير بن سعد ﷺ يعد رواحله متأهبًا للقاء النبي الكريم ﷺ لبيعة العقبة الثانية ، مع النفر الكرام من قومه[١] .

ويحظى بشير بن سعد ﷺ بشرف البيعة العظيمة ، ثم يرجع إلى المدينة ليتهيأ لاستقبال رسول الله ﷺ ، وتضيء المدينة بمقدم الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه[٢] ، فيكون بشير بن سعد مع أشراف قومه ؛ مع سعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين في استقبال المصطفى الكريم عليه الصلاة والسلام . ويأخذ بشير بن سعد - مبادرًا سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة - بخطام ناقة رسول الله ﷺ يرجوه النزول عليه ، وموكب النبي ﷺ متوجه من قباء إلى المدينة . فيَبِشُّ الرسول الكريم بوجه بشير وصحبه رضي الله عنهم . ثم يدعو له ولهم ، ويقول : « خلوا سبيلها فإنها مأمورة . »[٣] .

وينقطع بشير بن سعد لصحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، لا يُغِبُّ مجلسه ، ويعرف النبي ﷺ لبشير منزلته ، فكان يقدمه ، ويَهِشُّ له ، وبشير يغترف من معين النبوة الصافي ، ويَبَرُّ رسولَ الله ﷺ ، ويطرفه بما لديه من ثمر ومتاع ؛ مودة وإكرامًا ، ويبادل الرسول بشيرًا الودَّ والحبَّ ، فيشاركه في كل

---

(١) البداية والنهاية ١٦٥/٣ .

(٢) انظر حديث أنس بن مالك ﷺ ، في كتاب سعد بن الربيع ، ص ١٠٥ .

(٣) الطبقات الكبرى ٢٣٧/١ . البداية والنهاية ١٩٦/٣ . السيرة الشامية ٢٧٢/٣ . وفاء الوفا ٢٥٧/١ . سعد بن الربيع ، ص ١٠٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مناسبة تخصه ، فلما كان ولادة ابنه النعمان ، سُرَّ ﷺ أعظم السرور[١] ، فهنأ بشيرًا ، وبارك له ، وحنك الوليد المحبوب - وهو ابن الإسلام البكر ؛ إذ النعمان أول مولود للأنصار بعد الهجرة ، ودعا له[٢] .

وتمضي الأيام ، وبشير بن سعد ﷺ ملازم لرسول الله ﷺ ، لا يقطع أمرًا أو يستأمره ، ويأخذ بما يوجهه إليه ؛ كما في قضية نِحْلَتِهِ وَلِيدَهُ الأثير : النعمان .

ففي رواية أخرجها البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : إن أباه أتى النبي ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا غلامًا ، فقال : « أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ ؟ » . قال : لا . قال : « فَأَرْجِعْهُ » .

وفي رواية :« ... إِنَّ أُمَّه بنتَ رَوَاحَةَ سألتني بعض الموهبة لهذا . قال : « ألكَ ولد سواه؟» .قال :نعم .قال :فأراه قال :«لا تشهدني على جَور» ، وفي رواية :«لا أشهد على جَور »[٣] .

وكان ﷺ يتوجه إلى بشير بن سعد ، يسأله عن أحوال قومه الأنصار وأمورهم ؛ من غاب منهم ومن حضر ، ومن أقام ومن ظعن ، من ذلك : أنه لمَّا نزل قوله تعالى : ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾[٤] دخل ثابت بن قيس بن شماس[٥] منزله ، وأغلق بابه ، وطفق يبكي وينتحب ؛ لأنه كان يحب الجمال والشرف ، وكان جهير

شـــــــعره

---

(١) لما ولد النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، ملأ المسلمون جنبات المدينة تكبيرًا وتهليلاً ؛ فرحًا بمولده ؛ لأنه كان قد بلغهم عن اليهود أنهم سحروا المسلمين فلا يولد لهم بعد الهجرة ، فأكذب الله اليهود فيما زعموا . الطبري ٤٠١/٢ .

(٢) الطبقات الكبرى ٥٣/٦ . أسد الغابة ٣٢٦/٥ . الكامل في التاريخ ٧٧/٢ . الاستعياب ٥٥١/٣ . ابن الجوزي ، المنتظم ٧٧/٥ . البداية والنهاية ٢٤٧/٨ . الإصابة ٥٥٩/٣ . ابن حبيب ، المحبر ، ص ٢٧٦ .

(٣) انظر : صحيح الإمام مسلم بشرح الإمام النووي (المنهاج) ٦٨/١١ وما بعدها . وانظر : السيرة الشامية ٢٨٥/٩

(٤) سورة لقمان : ١٨ .

(٥) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك . بن كعب ، أبو محمد وأبو عبد الرحمن ، الأنصاري الخزرجي ، خطيب الرسول ﷺ يوم الوفود ، بشَّره ﷺ بالجنة ، وعن أبي هريرة يرفعه « نعم الرجل ثابت بن قيس » . استشهد في معركة اليمامة ، أوصى بعد موته ونفذت وصيته . انظر الاستيعاب ١٩٢/١ . الإصابة ١٩٥/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الصوت ، وفقده رسول الله ﷺ ، فسأل عنه بشير بن سعد ، فأخبره خبره ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ مُطَمْئِنًا ، وقال له : « إنك لست منهم »[١] .

ويذكر ابن عساكر أن لبشير بن سعد شعرًا جيدًا ، وقد استدل منه أنه قدم الشام ، وآوى إلى أعمال دمشق ، وأثبت قطعة من شعره ، قال : إنها من قصيدة طويلة[٢] .

وعلى الأكثر أنه قال هذه القصيدة في الجاهلية قبل الهجرة ، وإلا فهو ﷺ قد استشهد في عين التمر سنة اثنتي عشرة للهجرة .

وقد أثبت أبو الفرج الأصفهاني لبشير بن سعد قطعة شعرية يقول فيها[٣] :

لِعَمْرَةَ بالبَطْحَاءِ بَيْتٌ مُعَرَّفٌ ... وبين البطاحِ مسكنٌ ومحاضرُ
لَعَمْري لحيٌّ بين دار مزاحمٍ ... وبين الحمى لا يحسم الستر حاصرُ
أحقُ بها من فتيةٍ وركائبٍ ... يقطِّعُ عنها الليلَ عوجٌ ضوامرُ
تقولُ وتذري الدمعَ عن حُرِّ وجهها ... لعلَّكَ نفسًا قبلَ نفسي تُبَاكرُ
أَباحَ لها بطريق فارس عائطًا ... له من ذرا الجَولان قفلٌ وزاهرُ
فَقَرَّبتُها للرَّحلِ وهي كأنَّها ... ظليمُ نعامٍ بالسماوةِ نافرُ
فباتَتْ سَراها ليلَةً ثمَّ عَرَّسَتْ ... بيثربَ والأعرابُ بادٍ وحاضرُ

ولعل البيت الذي استدل منه ابن عساكر أن بشير بن سعد قدم الشام وآوى إلى بعض أعمال دمشق ، هو قوله :

..... له من ذرا الجولان قفل وزاهر

وذكر أبو الفرج أن والد بشير شاعر أيضًا ، وهو القائل[٤] :

---

(١) أسامة بن منقذ ، لباب الآداب ، ص ١٣ . ورد في بعض الروايات : أن الرسول ﷺ سأل سعد بن معاذ عن ثابت بن قيس لما افتقده ، قال ابن كثير : « وطرق هذه الرواية معللة لرواية حماد بن سلمة ؛ إذ تفرد فيها ... » ، والصحيح : أن الذي سأله النبي ﷺ عن ثابت بن قيس هو : بشير بن سعد ، وليس (سعد بن معاذ) ، فإن هذه الآية قد نزلت في وفد بني تميم ، والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة ، و (سعد بن معاذ) ﷺ استشهد عقيب غزوة الخندق – ومن جراها – بأيام ، والله أعلم . انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ٤/٢٤٥ وما بعدها . وعند : الذهبي ، سير أعلام النبلاء ١/٣١٠ ؛ أنها آية الحجرات في رفع الصوت .

(٢) د. الجبوري ، شعر النعمان ، ص ٩ .

(٣) الأغاني ١٤/١٢٠ .

(٤) السابق نفسه .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إِنْ كنتِ سائلةً والحقُّ مَعْتَبَةٌ فالأزدُ نسبتنا والماءُ غسانُ
شُمُّ الأنوفِ لهم عِزٌّ ومَكرمةٌ كانتْ لهمْ من جبالِ الطَّودِ أركانُ

وأخو بشير بن سعد شاعر أيضًا ، ومن قوله[1] :

إذا لم أزُرْ إلا لآكُلَ أكْلَةً فلا رَفَعَتْ كَفِّي إليَّ طعامي
فما أكلةٌ إن نلتُها بغنيمةٍ ولا جَوعَةٌ إن جِعْتُها بِغَرَامِ

وابنه النعمان شاعر مشهور ، وله ديوان شعري .

شغفه بالعلم

كان بشير بن سعد ﷺ يسأل رسول الله ﷺ عن دقيق الأمر وجليله ، بما يَرُدُّ عليه ، وعلى إخوانه بالفائدة والنفع ، «فقد روى مسلم عن أبي مسعود الأنصاري البدري ﷺ قال : أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله ؛ فكيف نصلي عليك ؟

قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ، ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا : اللهم صَلِّ على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . والسلام كما علمتم بنحوه »[2] .

وفي رواية ثانية عند مسلم بسنده : أن بشير بن سعد قال لرسول الله ﷺ : أمرنا الله أن نصليَ عليك يا رسول الله ، فكيف نصلي عليك ؟ قال ﷺ : « قولوا : اللَّهم صلِّ على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى أزواجه وذريته ، كما باركت على إبراهيم ، إنك حميد مجيد »[3] .

ويظل بشير بن سعد ﷺ ملازمًا رسولَ الله ﷺ ؛ يَفِيدُ من أخلاق النبوة ، مقتبسًا من سناها ، متخلِّقًا بأخلاقها ، وكلما ازداد لصوقًا برسول الله ﷺ ؛ ازداد له محبة وإيثارًا .

---

(١) السابق نفسه .

(٢) انظر : السيرة الشامية ٤٣٣/١٢ .

(٣) السابق ٢٤٣/٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولكنه مع طول صحبته كان يتحرج من الحديث ، وكان يكف حديثه[١] .

جهـــــــاده

وتنسلخ الشهور ، ويخرج رسول الله ﷺ لاعتراض قافلة لقريش ، وتنجو القافلة ، ولكن قريشًا أبت إلا الثأر لمكانتها ، فاجتمعت في ألف مقاتل ونيف على جنبات بدر ، ولم يكن ﷺ بايع الأنصارَ ﷺ على القتال خارج المدينة ، ولكن بشيرًا يأبى إلا أن يشدَّ عليه سلاحه ، ويكون رفيق رسولَ الله ﷺ[٢] ، ولم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام قد غزا بأَحَدٍ منهم قبل ذلك[٣] .

كان بشير بن سعد ﷺ - قبلُ - يَرى سرايا المهاجرين تتبعث رائحة غادية ، فيتحرق شوقًا للجهاد ، فلما كانت بدر ، كان رضي الله تعالى عنه في طليعة قومه الأنصار ، يذود دون إسلامه ، ويطاعن المشركين .

فلما تَجَرَّم عام وكانت أُحُد ، أبدى بشير بن سعد ﷺ ضروب الشجاعة مع صناديد قومه[٤] ، وكان ﷺ فارسًا طُوَالاً ، يركب الفرس الجسام ، فتخط إبهاماه في الأرض[٥] .

ولما جاءت أيام الخندق ؛ لازم بشير بن سعد ﷺ موقعه لا يبرحه بقرب رسول الله ﷺ ، وكانت زوجه (أم النعمان) ؛ عمرة بنت رواحة تبعث إليه بطعام رسول الله ﷺ ، وبطعامه وطعام أخيها عبد الله بن رواحه رضي الله عنهم أجمعين ، وربما كان هذا الطعام المبارك لا يزيد على حفنة تمر ، تكفي الرجلين أو الثلاثة ، وكانوا في مخمصة ومتربة ، ولكن الرسول ﷺ كان يبسط رداءه الشريف على هذه التميرات ، ثم يدعو المسلمين رهطًا بعد رهط ، فلا يريمون يأكلون حتى يشبع الجيش جميعًا من تميرات بشير بن سعد ؛ ببركة رسول الله ﷺ .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٣٥٨/٣٠ .

(٢) البداية والنهاية ٣١٦/٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ١٢/٢ . وانظر سعد بن الربيع ، للباحث ص ١٣٣ .

(٤) البداية والنهاية ٣١٦/٣ .

(٥) ابن حبيب البغدادي ، المحبر ، ص ٢٣٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

حدثت أبية بنت بشير بن سعد - أخت النعمان بن بشير - قالت : بعثتني أمي - أيام الخندق - بحفنة تمر من عجوة المدينة ، وقالت لي : يا بنية ؛ اذهبي إلى أبيك وخالك بغدائهما . قالت أبية : فأخذتها وانطلقت إلى الخندق ألتمس أبي وخالي ، فمررت برسول الله ﷺ ، فقال : « تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟ » . قالت : قلت : يا رسول الله ؛ هذا تمر ، بعثتني به أمي إلى أبي ؛ بشير بن سعد ، وخالي عبد الله بن رواحة يتغديانه . فقال رسول الله ﷺ : « هاتيه » . قالت : فصببته في كفيّ رسول الله ﷺ فما ملأتهما .

ثم أمر بثوب فبُسط له ، وجاء بالتمر فنثره فوق الثوب ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لجعال بن سراقة : « اصرخ بأهل الخندق ؛ أن هلموا إلى الغداء » . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل التمر يزيد حتى صَدَر أهل الخندق عنه ، وإنه ليفيض من أطراف الثوب . »[١] .

شهد بشير بن سعد مع رسول الله ﷺ غزواته كلها ، وفيها الأمير القائد بَلاَ الرسولُ الكريم ﷺ أبا النعمان ، وعجم عوده ، فلما ألفاه حيث يودُّ ؛ حنكة ودربة ، راح يعهد إليه بقيادة السرايا .

أ - سرية فدك :

فلما كان شعبان من سنة : سبع للهجرة ، بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد في ثلاثين رجلاً إلى بني مُرَّة[٢] بفدك[٣] ، فخرج حتى لقي رعاة الشاء ، فسأل : أين الناس ؟ فقالوا : هم في بواديهم - والناس يومئذ شاتون - لا يحضرون الماء ، فاستاق النعم والشاء[٤] ، وانكفأ راجعًا إلى المدينة ، فخرج الصريخ

(١) المغازي ٢٧٦/٢ . البداية والنهاية ١٠٠/٤ . السيرة الشامية ٣٦٩/٤ -٣٧٠ .

(٢) بنو مرة : قبيلة عربية عريقة ، شديدة المراس ، من أصل عدناني ، ثم اختلطت باليمانية ، ولعل جدها هو مُرَّة بن صعصعة بن معاوية ، من هوازن ، قيس عيلان ، وقد نزلوا غربي نجد إلى وادي القرى (غربي مدينة حائل اليوم) . ينظر : مغازي الواقدي ٧٢٣/٢ .

(٣) فَدَك : بفتح الفاء والدال ، قرية من قرى المدينة ، تقع جنوب شرقي خيبر ، وهي اليوم بليدة عامرة كثيرة النخل ، تسمى : (الحائط) ، وقد فتحت صلحًا ، وهي مما أفاء الله على رسوله خالصة له ؛ لأنه لم يُوجَف عليها بخيل ولا ركاب . ، ولها في المغازي والسير ذكر . معجم البلدان ٢٣٨/٤ .

(٤) وفي ذلك يقول العلامة غالي بن المختار الشنقيطي في كتابه وسيلة الجليل إلى بعوث صاحب الإكليل ، ص١٠٨ :

« ثمَّ بشيرًا بعده الأنصاري لفدك لمرة الضواري

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فأخبرهم ، فثار المُرِّيُّون بقوتهم وأبطالهم ، وأدركوهم ليلاً فبيَّتوهم ، ونفر بشير بن سعد وأصحابه يراشقون القوم بالسهام حتى فنيت سهامهم ، فلما أصبحوا حمل المريُّون - وهم جمع - على بشير وأصحابه ، فأصيبوا ، وثبت بشير بن سعد ﷺ ، فجالدهم بالسيف ، وقاتل قتالاً حتى ضُرب كعبه ، وأحاطوا به تثعب جراحه ، ويشخب دمه ، وارتُثَّ حتى قيل : قد مات ، وهو في غيبوبة ، فكُفَّ عنه وأُمْهِل ، فلما جَنَّ عليه الليل أفاق ، وتحامل حتى انتهى إلى (فَدَك) ، فأقام أيامًا إلى أن فاءت إليه نفسه ، وسكنت جراحه ، فعاد إلى المدينة ، وكان علبة بن زيد الحارثي قد سبقه إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بخبر بشير[1] .

وبلغ الحزن برسول الله ﷺ مبلغًا من أثر ما أصاب بشيرًا وأصحابه ، وأَذَّنَ عليه الصلاة والسلام بالثأر لهم ، فهيأ الزبيرَ بنَ العوام رضي الله تعالى عنه ، ثم قال له : « سر حتى تنتهي إلى مصاب أصحاب بشير ، فإن أظفرك الله بهم ، فلا تُبقِ فيهم ... » وأعدَّ له مئتي رجل ، وعقد له اللواء .

فقدم غالب بن عبد الله الليثي[2] من سرية قد أظفره الله بهم ، وأظهره عليهم ، فقال الرسول ﷺ للزبير بن العوام ﷺ : « اجلس ... » ، وبعث غالبَ بن عبد الله مكانه ... حتى انتهى إلى مصاب بشير وأصحابه ، فظفروا ، وسلموا ، وغنموا[3] .

بشير بن سعد يفوز بثقة شيخي أهل الجنة[1]

وإذا كان شديدًا على رسول الله ﷺ أن يصاب بشير وأصحابه ، فإن بشيرًا يبقى الليث لا يتقهقر ، والصارم لا ينبو ولا يفل . فما إن برئت جراحه ، حتى عقد له رسول الله ﷺ على سرية أخرى .

ب - سرية الجناب :

وكان ذلك في شوال سنة : سبع من الهجرة ، أي عُقيب غزوته الأولى بقليل ، فقد قدم المدينةَ رجل من أشجع يقال له : حُسَيلُ بنُ نُوَيرَة ، وكان دليلَ النبي ﷺ إلى

فشن غارة وساق الشَّاء وحاز من نَعمهم ما شاء »

(١) مغازي الواقدي ٧٢٢/٢ ، ٧٢٤ . طبقات ابن سعد : ١١٩/٢ . الكامل في التاريخ ١٥٣/٢ . ابن عساكر ١٩٠/١ . البداية والنهاية ٢٢٢/٤ . السيرة الشامية ١٣٢/٦ .

(٢) عند اليعقوبي : غالب بن عبد الله الملوحي ٧٤/١ . وانظر : ابن حجر ، الإصابة ١٨٤/٣ .

(٣) المغازي ٧٢٣/٢ . الطبقات الكبرى ١١٩/٢ . الكامل في التاريخ ١٥٣/٢ . البداية والنهاية ٢٢٢/٤ . السيرة الشامية ١٤٠/٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خيبر ، فقال له رسول الله ﷺ : « من أين يا حسيل ؟ » قال : قدمت من الجِناب[١] ، فقال رسول الله ﷺ : «ما وراءك ؟» قال : تركت جمعًا من غطفان[٢] بالجِناب ، قد بعث إليهم (عُيَينَة بن حصن الفَزاري)[٣] يقول لهم : إما أن تسيروا إلينا ، أو نسير إليكم ، فأرسلوا إليه أن سِرْ إلينا ؛ حتى نزحف إلى محمد جميعًا . وهم يريدونك ، أو بعض أطرافك ، فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما ، فذكر لهما ذلك ، فقالا جميعًا : ابعث بشير بن سعد[٤] .

(١) الجناب : وتسمى اليوم : (الجهراء) ، وتقع جنوب مدينة تيماء ، والجناب : أرض فضاء ، وبيداء فيحاء ، تمتد من الحفيرة جنوبًا حتى تقرب من تيماء ، وتتصل شرقًا بصحاري نجد الواسعة ، وغربًا بهضاب واقصة وعردات ، قال ياقوت : الجناب بكسر الجيم ، موضع بعراض خيبر ، وسَلاح ، ووادي القرى ، وقيل : بين فيد والمدينة ، وتمتد منطقة الجِناب على بعد (ثلاثمائة كيلومتر) تقريبًا شمالي المدينة المنورة . وانظر معجم البلدان ١٦٤/٢ .

(٢) غطفان : قبيلة عدنانية ، كانت منازلهم بنجد مما يلي وادي القرى ، وجبل طيء ، من أوديتهم (الرمّة) ، ومن جبالهم (ضرغط أو ضرغد) ، وتقع اليوم ضمن منطقة حائل .

(٣) عُيينة بن حصن الفَزاري ، من أجلاف الأعراب ، أسلم عام الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ارتد عن الإسلام ثم عاد إليه ، وذكروا : أن عمر بن الخطاب ﷺ قتله على الردة ، وقيل : بل لما علم بعزم عمر على قتله ، عاد إلى الإسلام ، فتركه ، فعاش إلى خلافة عثمان ﷺ ، ولم يحسن إسلام عيينة ، والله أعلم . انظر : الإصابة ٥٤/٣ .

(٤) البيهقي ، دلائل النبوة ٣٠١/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فدعا رسول الله ﷺ بشيرًا ، فعقد له لواءً ، وبعث معه ثلاثمئة رجل ، وأمرهم أن يسيروا الليل ، ويكمنوا النهار ، وخرج معهم حُسَيل بن نُوَيرَة دليلاً ، فساروا الليل ، وكمنوا النهار ، حتى أتوا أسفل خيبر ، فنزلوا بـ « سَلاح »[1] ، ثم خرجوا من (سلاح) حتى دنوا من القوم ، في : (يمن وجبار)[2] ، فقال لهم الدليل : بينكم وبين القوم ثلثا نهار ، أو نصفه ، فإن أحببتم كمنتم ، وخرجتُ طليعةً لكم حتى آتيكم بالخبر ، وإن أحببتم سرنا جميعًا .

قالوا : بل نقدِّمك ، فقدَّموه ، فغاب عنهم ساعة ، ثم كرَّ عليهم ، فقال : هذا أوائل سرحهم ، فهل لكم أن تغيروا عليهم ؟ فتشاوروا بينهم ، ثم شدُّوا على النعم ، فأصابوا نعمًا كثيرًا ، فملؤوا منها أيديَهم ، وتفرَّق الرِّعاء سراعًا فزعين ، فحذَّروا القوم ، فَفَرِقُوا وتفرَّقوا ، ولحقوا هاربين بديارهم ، وتبعهم بشير بن سعد بأصحابه ، حتى أتى محلهم فيجدها وليس بها أحد ، فرجع حتى إذا كان بـ (سلاح) عائدًا بجنده ؛ لقي عينًا لـ (عيينة بن حصن الفزاري) فقتلوه ، ثم لقوا جمع (عيينة) ، وهو لا يشعر بهم ، فناوشوهم ، حتى انكشف جمع (عيينة) ، وتبعهم بشير بأصحابه ، فأسروا رجلاً أو رجلين ، فقدِموا بهما على النبي ﷺ ، فأسلما ، فأرسلهما النبي ﷺ[3] .

---

(١) سَلاح : على وزن قَطام ، موضع قرب خيبر . انظر : معجم البلدان ٣/٢٣٣ .
ويسمى اليوم : (العشاش) ، ويبعد عن المدينة نحوًا من مئتي (كيلومتر) ، على ربوة ترتفع عن مجرى السيل ، ولا تزال بقايا آثار المدينة (سلاح) إلى الآن ، وقد ظلت (سلاح) محطة للحجاج ، حتى تحول طريق الحاج الشامي إلى العلا ، فتبوك ، أي تحول الطريق إلى غربي (سلاح) ، ثم أقام نفر من الأعراب في هذا الموضع بيوتًا متواضعة من الصفائح والقصب ، وجذوع النخل على غير ما نظام ، ويطلقون على كل بيت : (عشة) .
وقد أقيمت تلك العشش أو (العشاش) على أنقاض (سلاح) القديمة ، في شماليها ، فسميت الآن : (العشاش) ، وقد انتعشت تلك (العشاش) أخيرًا عندما مر فيها طريق : المدينة - تبوك - الشام .
وإذا وقف المرء على نشز من الأرض في (سلاح / العشاش) اليوم ، ورنا إلى الشمال الشرقي ، فإنه يرى (يمنًا وجبارًا) ؛ الموقعين التاريخيين الآتي ذكرهما . انظر : عاتق غيث البلادي ، رحلات في بلاد العرب ، شمال الحجاز ، ص ٢٦ .

(٢) يمن : اسم ماء في واد ، يرى من مشراف العشاش (سلاح) قديمًا ، من جهة الشمال الشرقي . انظر : معجم البلدان ٥/٢٢١ .
وكذلك جبار ، ماء يقع إلى الشرق من (يمن) في الوادي نفسه ، ويسيل هذا الوادي غربًا حتى يصب في وادي عشاش من أعلاه . انظر : معجم البلدان ٢/٩٨ .

(٣) مغازي الواقدي ٢/٧٢٧ ، ٧٢٨ . طبقات ابن سعد ٢/١٢٠ . الطبري ٣/٢٣ . الكامل في التاريخ ٢/١٥٣ . البيهقي ، دلائل النبوة ٤/٣٠١ . المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٤٤ . البداية والنهاية ٤/٢٢٣ . السيرة الشامية ٦/١٣٤ .
وقد تعددت أسماء هذه السرية المباركة في هذه المصادر ، فبعضهم يقول : غزوة يمن وجبار ، وبعضهم الآخر يسميها غزوة الجناب وسلاح ، وكلها واحد .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وعاد بشير بن سعد ﷺ إلى المدينة ظافرًا ، سالمًا ، غانمًا ، يسوق ما ملأ به يديه من النعم والشاء ، ومما أفاءه الله عليه[١] ، بعد ما نشر سيادة الإسلام على أطراف المدينة ، وألقى الرعب في قلوب أعداء المسلمين ، وأقام هيبة الإسلام في نفوس الغادرين الناكثين ، حتى شرح الله صدورهم للإسلام ، فأتوه مذعنين .

وقد صحت فراسة أبي بكر وعمر ببشير رضي الله عنهم ، فكان عند حسن ظنهما به ، كما هو عند رسول الله ﷺ من قبل ، ومن بعد .

ج - بشير بن سعد ﷺ الأمير العسكري ، حفيظ أسلحة رسول الله ﷺ .

وتظهر كفاءة الصحابي الأمير بشير بن سعد رضي الله تعالى عنه كقائد عسكري فذٍّ مُسدَّد ، فكان الرسول ﷺ يستشيره في المهم من الأمور ، ويسند إليه بعض المهمات العسكرية الجسيمة .

فحينما عزم الرسول ﷺ على التهيؤ لعمرة القضاء ، بعد أن صدَّته قريش والمسلمين عن عمرتهم السابقة ، قدم معه جموع من شهد الحديبية ، وحمل رسول الله ﷺ السيوف والبيض ، والدروع والرماح ، فقيل له : يا رسول الله ؛ حملتَ السلاحَ ، وقد شرطوا علينا ألا ندخل عليهم إلا بسلاح المسافر ؛ السيوف في القرب ، فقال رسول الله ﷺ : « إنا لا نُدخِلُها الحرم ، ولكن تكون قريبًا منا ، فإن هاجنا هيج من القوم ، كان السلاح قريبًا منا » . وكان ذلك في هلال ذي القعدة[٢] من السنة نفسها ؛ سنة سبع من الهجرة ، واختار رسول الله ﷺ بشير بن سعد ﷺ ، فأسند إليه هذه المهمة[٣] ، وأحرم ﷺ من باب مسجده الشريف بالمدينة ، ثم

وكل هذه الأسماء مواضع وأمكنة ناحية خيبر ، فوادي يمن وجبار يعارض وادي خيبر كما رأينا . انظر المصورات عند : البلادي ، رحلات في بلاد العرب ، شمالي الحجاز ، ص ٢٢ ، ٣١ .

(١) وفي ذلك يقول الشنقيطي في وسيلة الخليل ، ص ١١١ :

« ثم بشيرًا بعده الأنصاري لغطفان يمن والجبار
فهربوا منه فساق النَّعما وبأسيرين أتى فأسلما »

(٢) عند ابن الأثير أن عمرة القضاء كانت في ذي الحجة . الكامل ١٥٤/٢ .

(٣) مغازي الواقدي ٧٣٣/٢ . طبقات ابن سعد ١٢٠/٢ . البداية والنهاية ٢٣١/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يَمَّمَ هو والمسلمون شطر مكة ملبِّين ، فلما انتهوا إلى (ذي الحليفة)[١] ، قدَّم ﷺ أمامه الخيل ، وعليها محمد بن مسلمة ﷺ ، وقدَّم فرقة السلاح ، وعليها بشير بن سعد ﷺ ، فلما صاروا إلى (مرِّ الظهران)[٢] ، رأى نفر من قريش سلاحًا كثيرًا ، ولما رأوا عليه بشير بن سعد خرجوا سراعًا ، حتى أتوا قريشًا ، فأخبروهم بالذي رأوه من الخيل والسلاح ، ففزعت قريش ، وقالوا : والله ما أحدثنا حدثًا ، ونحن على كتابنا ومدتنا ، ففيمَ يغزونا محمد في أصحابه ؟؟

ونزل رسول الله ﷺ (مَرَّ الظَّهران) ، فقدَّم بشيرًا مع السلاح إلى (بطن يأجج)[٣] ، حيث ينظر إلى أنصاب الحرم ، وبعثت قريش (مكرز بن حفص بن الأخيف)[٤] في نفر من قريش ، حتى بلغوا (بطن يأجج) ، فلقوا رسول الله ﷺ في أصحابه ، والهدي والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد !! والله ما عُرفتَ - صغيرًا ولا كبيرًا - بالغدر !! تدخل بالسلاح الحرمَ على قومك ، وقد شرطتَ ألا تدخل إلا بسلاح المسافر ؛ السيوف في القرب ؟[٥] ، فقال النبي ﷺ : « إني لا أُدخِل

---

(١) حليفة : بالتصغير ، قرية بظاهر المدينة المنورة ، على بعد تسعة أكيال على طريق مكة ، وهي ميقات أهل المدينة ، ومن مَرَّ بها محرمًا إلى مكة ، وتسمى اليوم : أبيار علي . معجم البلدان ٢٩٥/٢ .

(٢) مَرّ الظهران : واد عظيم من أودية الحجاز ، يقع شمال مكة ، على مسافة اثنين وعشرين كيلاً ، ويصب في البحر جنوب جدة ، ومن أقسامه : وادي فاطمة ، وهي فاطمة زوجة بركات بن أبي نمي ، أحد حكام مكة من الأشراف . انظر : معجم البلدان ١٠٤/٥ . المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، ص ٢٥٠ .

(٣) بطن (يَأجَجُ) : بالهمزة وجيمين : علم مرتجل لاسم مكان من مكة ، وهو واد من أوديتها شمال التنعيم ، ووادي التنعيم يصب في يأجج ، يقطعه الطريق إلى المدينة على عشرة أكيال من المسجد الحرام ، ويعرف اليوم باسم (ياج) . انظر : معجم البلدان ٤٢٤/٥ . وانظر : المعالم الأثيرة ، للأستاذ محمد محمد حسن شراب ، ص ٢٩٧ .

(٤) مكرز بن حفص بن الأخيف ، بالخاء المعجمة والياء المثناة ، هكذا ضبطه في الإصابة ، وهو عند الواقدي وابن كثير : الأحنف ، كذا بدون ضبط ، وهو من بني عامر بن لؤي ، من قريش ، شاعر جاهلي فَتَّاك ، قدم المدينة عقيب بدر ، لما أسر المسلمون سهيل بن عمرو ، فقال لهم : ضعوا رجلي في القيد مكان رجليه ، حتى يبعث إليكم بالفداء ، ففعلوا ذلك ، فلما بعث سهيل بفدائه أطلق مكرز . انظر : المصعب الزبيري ؛ نسب قريش ، ص ٤١٧ . الإصابة ٤٥٦/٣ . الأعلام ٢٨٤/٧ .

(٥) المغازي للواقدي ، وعنده : مكرز بن حفص الأحنف ٧٣٣/٢ . الطبقات الكبرى ١٢٠/٢ . البداية والنهاية ٢٣١/٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عليهم السلاح » ، فقال (مكرز بن حفص) : هذا الذي تُعْرَفُ به ؛ البر والوفاء ، ثم أسرع فأخبر قومه[١] .

وأكرم الله نبيه ﷺ ، فأنعم عليه وعلى أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين ، فأتموا عمرتهم ، وكان الرسول ﷺ أمر ناسًا منهم أن يذهبوا إلى أصحابهم ببطن يأجج ، فيقيموا على السلاح ، ويأتي الآخرون ، فيقضوا نسكهم ، ففعلوا ، وكان قائدهم العسكري الأمير القائد بشير بن سعد رضي الله تعالى عنه[٢] .

بشير بن سعد رجل الموقف الصعب

بقي بشير بن سعد ﷺ جنديًا كفؤًا ، مخلصًا للإسلام ودعوته ورسوله الأمين ﷺ ؛ يلازمه في المدينة ، ولا ينفرد عنه في سفره وغزواته ، فقد كان الرسول ﷺ يُرى متوسطًا أبا بكر ، وبشير بن سعد ، وكثيرًا ما كان عليه الصلاة والسلام يسير بينهما ، ويسأله ويستشيره ، فلا يناديه إلا بكنيته ؛ تكريمًا له ، ومعرفة لمكانته ، فكان يدعوه : « يا أبا النعمان . » ، فيجيبه دائمًا : لبيك يا رسول الله[٣] .

ويتمُّ الله سبحانه على المسلمين نعمته ، ويكمل لهم الدين ، ويبلغه الرسول ﷺ ، تامًا مكملاً ، ثم يلتحق بالرفيق الأعلى .

وترتَجُّ المدينة لوفاة النبي ﷺ ، ويفقد ذوو العقول عقولهم ، ويُضحِي القوم حيرى مذهولين ، لا يدرون ما يصنعون ، ولا يَعُون ما يقولون ، حتى نهض أبو بكر ليمسك الزمام ، ويوجه القوم إلى الصواب ، فيقول لهم : (أيها الناس ؛ من كان يعبد محمدًا ، فإن محمدًا قد مات ، ومن كان يعبد الله ، فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا عليهم قوله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا . . . ﴾[٤] ، فأفاق الناس من غشيتهم ، وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية الكريمة إلا يومهم ذاك ولأول مرة[٥] .

---

(١) السيرة الشامية ١٩٠/٥ .

(٢) جاء عند ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤٦٤/١ : أن النبي ﷺ استعمل بشير بن سعد على المدينة في عمرة القضاء ، في حين أن كتب المغازي والسير تنص على: أن بشير بن سعد كان على سلاح النبي ﷺ في عمرة القضاء هذه ، وأن الذي استخلفه النبي ﷺ على المدينة في عمرة القضاء هو : (أَبُو رُهْم الغفاري) . انظر : الطبقات الكبرى ١٢٠/٢ ، ١٢١ . وذكر ابن كثير عن ابن هشام : أن النبي ﷺ استعمل على المدينة في عمرة القضاء (عويف بن الأخبط الدؤلي) . انظر : البداية والنهاية ٢٢٧/٤ . والله أعلم .

(٣) المغازي ٤٤٠/٢ .

(٤) سورة آل عمران : ١٤٤ .

(٥) البداية والنهاية ٢١٣/٥ ، وما بعدها .

وتناهى إلى الصديق خبر اجتماع الأنصار ﷺ في سقيفة بني ساعدة[١] ، فنهض ، ولقي عمر بن الخطاب ﷺ ، فقال له : انطلقْ بنا إلى إخواننا الأنصار ، وأحبَّ عمر الكلام ، فَرَيَّثه أبو بكر ، وحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ﷺ ، وقال : (يا معشر الأنصار ؛ إنكم - واللهِ - لا تذكرون فضلاً ، إلا وأنتم له أهل ، ولكن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لقريش ، هم أوسط الناس دارًا ونسبًا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين .

فقال عمر : وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة ، وإني - والله - ما كرهت من كلامه كلمة غيرَها ، إنْ كنتُ أُقَدَّمُ فتضرب عنقي ، فيما لا يقرِّبني إلى إثم أحب من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر[٢] .

وقال الأنصار : (منا أمير ، ومنكم أمير) واختلفوا ، وتقاولوا حتى كادت تتشعبهم الفتنة ، فما هو إلا أن وقف بشير بن سعد ﷺ في قومه فقال : (يا معشر الأنصار ؛ إنَّا والله - وإن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين ، وسابقة في هذا الدين - ما أردنا به إلا رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكدح لأنفسنا ، فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك ، ولا نبتغي به من الدنيا عَرَضًا ، فإن الله ولي المِنَّة علينا بذلك ، ألا إن محمدًا ﷺ من قريش ، وقومُه أحق به وأولى ، وايم الله ؛ لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا ، فاتقوا الله ، ولا تخالفوهم ، ولا تنازعوهم)[٣] .

ولما قام عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح إلى أبي بكر يبايعانه ؛ وثب بشير بن سعد من مكانه فسبقهما وبايع أبا بكر رضي الله عنهم ، وتقاطر المهاجرون والأنصار إلى أبي بكر يبايعونه ، فكان بشير بن سعد أول من بايع أبا بكر[٤] .

---

(١) السقيفة : مجلس مفتوح شماله ، على شكل مربع ناقص ضلعًا ، يبنى بالحجر واللبن أوالآجر ، وتفتح نافذة في جداره الشرقي ، وبهذه الهيئة يصبح باردًا صيفًا ، في صدره صُفّة مسقوفة بجريد النخل أو بخشب الأثل ، لتغدو ظلة يجلسون تحتها للتشاور والتسامر ، وهي لبني ساعدة ، وموقعها في الناحية الشمالية الغربية للمسجد النبوي الشريف ، وكان أقيم مكانها حديقة جميلة كانت تحمل اسم السقيفة . انظر : علي حافظ ، فصول من تاريخ المدينة المنورة ، ص ١٩٩ .

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٢٤/٢ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢٢٣/٢ . وانظر : حسين مؤنس ، الصحابة الأنصار ، ص ٧ .

(٤) البداية والنهاية ٢١٧/٥ ، ٣٥٨/٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وذكروا أنه لما بايع بشير بن سعد أبا بكر ، ناداه الحباب بن المنذر : (...ما أحوجك إلى ما صنعت؟ أَنَفِسْتَ[1] على ابن عمك : (سعد بن عبادة) الإمارةَ؟ ، فقال بشير بن سعد ﷺ : (لا والله ؛ ولكني كرهت أن أنازع القوم حقًا جعله الله لهم ...)[2] .

لقد آثر بشيرُ بن سعد اللهَ ورسولَه ودينَه على هوى النفس ، وكانت خطبته تلك فاصلة الخطاب ، ورؤية الصدع ؛ فقد أنهت المناقشة ، بعدما لَجُّوا في الخلاف ، ولَمَّت الشمل ، فرضي القوم ، وبايعوا مطمئنين .

ولم يكن بشير بن سعد ﷺ ، وهو أنصاري خزرجي ، وابن عم سعد بن عبادة ، ولكنه - قبل ذلك كله وبعده صحابي جليل - تخرج في مدرسة النبوة ، مسلمًا مؤمنًا ، يؤثر الآخرة على الدنيا - فلم يكن ليقوم بما أقدم عليه ، فيقبل على الحق ، ويصدَّ عن ابن عمه ، لولا حديث سمعه من في رسول الله ﷺ ، ويرويه عنه ابنه النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، يقول : (لما ثقل برسول الله ﷺ تكلم الناس فيمن يقوم بالأمر بعده ، فقال قوم : أبو بكر ، وقال قوم : أُبَيُّ بن كعب ، قال بشير بن سعد : فأتيت أُبَيًّا ، فقلت : يا أُبَيّ ؛ الناس قد ذكروا أن رسول الله ﷺ يستخلف : أبا بكر أو إياك ، فانطلقْ حتى تنظر في هذا الأمر ، فقال : (إن عندي في هذا الأمر من رسول الله ﷺ شيئًا ، ما أنا بذاكره حتى يقبضه الله إليه ، ثم انطلق ، وخرجت معه ، حتى دخلنا على النبي ﷺ بعد الصبح ، وهو يحسو حسوًا في قطعة معشوبة[3] ، فلما فرغ ، أقبل على أُبَيّ فقال : « هذا ما قلت لك » ، قال : فأوصِ بنا ، فخرج يخطُّ برجليه ، حتى صار على المنبر ، ثم قال : « يا معشر المهاجرين ؛ إنكم أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار كما هي لا تزيد ، ألا وإنَّ الناس يكثرون ، وتقلُّ الأنصار ، حتى يكونوا كالملح في الطعام ، فمن وَلِي من أمرهم شيئًا فليقبل من مُحسنهم ، ويعفُ عن مسيئهم » ، ثم نزل ودخل .

---

(١) أنفست : أي : أَحَسَدْتَ ابن عمك وضننت عليه الإمارة التي سعى إليها ، وتمنى أن تؤول إليه . انظر : لسان العرب ، مادة (نفس) ٢٣٨/٦ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) يشرب شربًا قليلاً ، ويمسح وجهه بطيئًا .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فلما توفي رسول الله ﷺ ، قيل لي : هاتيك الأنصار مع سعد بن عبادة ، يقولون : نحن أولى بالأمر ، والمهاجرون يقولون : لنا الأمر دونكم ، فأتيت أُبَيًّا ، فقرعت بابه ، فخرج إليَّ ملتحفًا ، فقلت : ألا أراك قاعدًا ببيتك ؟ مغلقًا عليك بابك ؟ وهؤلاء قومك في بني ساعدة ، ينازعون المهاجرين ؟ فاخرج إلى قومك ، فخرج ، فقال : (إنكم – والله – ما أنتم من هذا الأمر في شيء ، وإنه لهم دونكم ، يليها من المهاجرين رجلان ، ثم يُقتَل الثالث ، ويُنزَع الأمر ، فيكون هاهنا – وأشار إلى الشام – وإنَّ هذا الكلام لمبلول بريق رسول الله ﷺ[1] . ثم رجع فدخل بيته ، وأغلق عليه بابه[2] .

وهكذا نجد بشير بن سعد ﷺ لا يصدر إلا عن حكم شرعي ، ولا يُقدم على شيء إلا بأمر شرعي مؤيد بالنص .

وكما كان بشير بن سعد لرسول الله ﷺ ، كان لخليفته – الصديق رضي الله تعالى عنهما – من بعده ، نعم المساعد والمشير .

فإنَّ سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي ﷺ ، لما رأى رأيه في السقيفة والبيعة ، واستخشن لأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، عزَّ عليهما ذلك ، وأرادا استرضاءه – على حدَّته – وشاور أبو بكر أصحابه ، فقال له بشير بن سعد ﷺ – يشير عليه ناصحًا – : يا خليفة رسول الله ؛ إنه قد أبى ولجَّ ، وليس بمبايعكم أو يُقتَل ، فلا تحركوه ، فقد استقام لكم الأمر ، فإنه ليس بضارِّكم ، وإنما هو رجل وحده ما تُرك .

فقبل أبو بكر نصيحة بشير بن سعد ، وترك سعد بن عبادة وشأنه ، رضي الله عنهم أجمعين[3] .

كان بشير بن سعد شجاعًا ، لا يخاف في الله لومة لائم ، لا يماري ولا يحابي ، ولقد قال لعمر بن الخطاب ﷺ كلمة جريئة ؛ قلما يتجرأ غيره على مثلها ، فقد روى محمد بن النعمان بن بشير ؛ أن أباه أخبره : أن عمر بن الخطاب ﷺ قال – يومًا – في مجلس وحوله المهاجرون والأنصار ، قال : أرأيتم لو ترخَّصت في

(١) كناية عن حداثة العهد بهذا الكلام .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ١١/٥ ، ١٢ .

(٣) الطبقات الكبرى ٦١٦/٣ . الطبري ٢٢٢/٣ . الكامل في التاريخ ٢٢٤/٢ .

بشير بن سعد في حروب الردة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بعض الأمر !! ما كنتم فاعلين ؟؟ فسكتوا ، فعاده مرتين أو ثلاثًا ، قال بشير بن سعد ﷺ : لو فعلتَ قوَّمناك تقويم القدح[١] . قال عمر ﷺ مغتبطًا مطمئنًا إلى سلامة قومه : أنتم إذًا أنتم !!![٢]

ولما ارتدت العرب بعد وفاة رسول الله ﷺ وظهرت الفتنة ، استنفر أبو بكر الصديق الصحابة لمواجهتها ، فكان بشير بن سعد ﷺ في أوائل من شد عليه سلاحه ؛ وخرج مع خالد بن الوليد ﷺ ، يتقلب من معركة إلى معركة ، حتى أظهرهم الله تعالى ، ومكَّن لهذا الدين .

ولكن المجاهد البطل ، لا تروقه حياة الدعة والراحة ، استشهاده ﷺ فلازم بشير بن سعد خالدًا في معاركه ؛ معارك الفتوح بعد أن أخمدوا الردة .

وسار خالد بجيشه بعد أن فتح الله عليهم الحيرة[٣] والأنبار[٤] ، فقصد (عين التمر)[٥] ، وبها (مهران بن بهرام) في جمع عظيم من الأعاجم ، ومعهم (عقة بن أبي عقة)[٦] ، في جمع عظيم من عرب النمر وتغلب ، ونازل خالد ﷺ بشجعانه تلك الجموع المحتشدة ، ثم سار عقة إلى خالد فالتقيا ، فحمل خالد بنفسه على عقة ، وهو يقيم صفوفه فأحاط به ، واختطفه فأخذه أسيرًا ، وانهزم أصحابه ،

---

(١) القدح : العود من الشجر ، يقطع ثم يشذب ويُقَوَّم ، ثم ينصل ويراش فيصير سهمًا . انظر : لسان العرب ، مادة (قدح) ٥٥٦/٢ .

(٢) الإمام البخاري ، التاريخ الكبير ٩٨/٢ .

(٣) الحيرة : بالكسر ثم السكون ، مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، في موضع النجف ، كانت مسكن ملوك العرب (المناذرة) في الجاهلية ، وسميت بذلك ؛ « لأن تُبَّعًا الأكبر لما قصد خراسان ، خلف ضعفته ثم ، وقال لهم : حيروا » . ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣٢٨/٢ .

(٤) الأنبار : مدينة على الفرات ، غربي بغداد ، بينهما عشرة فراسخ . بناها (سابور بن هرمز) ذو الأكتاف ، وجدَّد بناءها أبو العباس السفاح ، وسميت الأنبار لأنها كانت مجمع الحنطة والشعير . وفيها صوامع الغلال المرتفعة ، وسميت كذلك لأن الطعام والغلال إذا صُبَّت فوق بعضها انتبرت ، أي ارتفعت ، ومن ذلك سمي المنبر ؛ لارتفاعه ، وقيل : الأنبار دويبة صغيرة . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ٢٥٧/١ .

(٥) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار ، غربي الكوفة ، على طرف البرية ، كثيرة التمر ، ومنها يحمل إلى سائر البلاد ، وهو بها كثير جدًا . معجم البلدان ١٧٦/٤ .

(٦) أحد زعماء نصارى العرب ، الذين اجتمعوا بجموع عظيمة من تغلب وإياد تحت حماية الفرس ، بقيادة (مهران بن بهرام) لحرب الإسلام .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فلما بلغ (مهران) الخبر ، هرب وتحصَّن ، فنازلهم خالد بأبطاله ﷺ ، وبرزت شجاعة بشير بن سعد ، حتى أكرمه الله سبحانه بالشهادة في هذه الموقعة (عين التمر) ، وفيها دفن مع (عمير بن رئاب السهمي)[1] ، جنبًا إلى جنب ، في قبر واحد .

وانطوت في سنة ثنتي عشرة للهجرة المباركة ؛ صفحة مشرقة من حياة الصحابي الجليل ، البطل المجاهد ، أبي النعمان ؛ بشير بن سعد ﷺ وأرضاه .

ذلك الصحابي الذي كان أول الأنصار إسلامًا[2] ، كما كان مجاهدًا من الطراز الأول ، فما آب من غزو إلا إلى نفير ، ولازم الرسول المصطفى الكريم ﷺ ، وشهد معه المشاهد كلها ، ولاصقه في سفره وحضره ، فكثيرًا ما رئي رسول الله ﷺ متوسطًا أبا بكر الصديق وبشير بن سعد رضي الله عنهما[3] ، كما كان ملتزمًا بأحكام الله ، ناصحًا لله ولرسوله ، ولإمام المسلمين وخليفة رسول رب العالمين ، ولإخوانه المسلمين ، حتى ختم الله له بالحسنى ، فاتخذه شهيدًا ، عليه رضوان الله وسلامه ورحمته .

المصادر والمراجع

- الاستبصار في نسب الأنصار ، ابن قدامة المقدسي ، تحقيق الأستاذ علي نويهض ، دار الفكر ، بيروت .
- الاستيعاب ، ابن عبد البر (على حاشية الإصابة) ، مصورة عن الكتبخانة الخديوية المصرية ، ط١ ، ١٣٢٨هـ .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ابن الأثير الجزري ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ورفيقيه ، كتاب الشعب ، القاهرة ، ١٩٧٠م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، مصور عن الكتبخانة الخديوية المصرية ، ط١ ، ١٣٢٨هـ .

---

(١) عمير بن رئاب بن حذيفة القرشي السهمي ، كان من السابقين الأولين ، ومن مهاجرة الحبشة ، ثم هاجر إلى المدينة ، واستشهد مع خالد بن الوليد بعين التمر في خلافة أبي بكر ، وهو القائل :

نحن بنو زيد الأغر ومثلنا يحامي على الأحساب عند الحقائق

انظر : الإصابة ٣٢/٣ .

(٢) البداية والنهاية ٣٥٨/٦ .

(٣) انظر : مغازي الواقدي ١٦٥/١ . الكامل في التاريخ ٢٦٩/٢ . البداية والنهاية ٣٥٨/٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- الأعلام ، خير الدين الزركلي ، طبعة دار العلم للملايين ، ط٥ ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .
- الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان .
- البداية والنهاية ، الحافظ ابن كثير ، تحقيق د. أحمد أبو ملحم ورفاقه ، ط٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .
- تاريخ الأمم والرسل والملوك = (تاريخ الطبري) ، الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٥ ، ١٩٨٧م .
- تاريخ دمشق ، ابن عساكر ، ط١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- التاريخ الكبير ، الإمام البخاري ، مصورة مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .
- تاريخ اليعقوبي ، اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت .
- التنبيه والإشراف ، المسعودي ، طبعة دار صادر ، بيروت .
- تهذيب التهذيب ، ابن حجر ، مصورة عن الطبعة الأولى ، دائرة المعارف النظامية ، حيدرآباد ، ١٣٢٥ ، الهند .
- جمهرة أنساب العرب ، ابن حزم ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٥ ، دار المعارف ، ١٩٨٢م ، القاهرة .
- دلائل النبوة ، البيهقي ، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي ، ط١ ، دار الريان ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ .
- رحلات في بلاد العرب (شمال الحجاز) ، عاتق غيث البلادي ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار مكة للطباعة والنشر ، مكة المكرمة .
- الروض الأنف (تفسير سيرة ابن هشام) ، للسهيلي ، ط. عبد الرؤوف سعيد ، ط منقحة ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- سعد بن الربيع الأنصاري (النقيب الشهيد) ، محمد علي كاتبي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
- سنن البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- السيرة الحلبية ، العلامة برهان الدين الحلبي ، إحياء التراث العربي ، بيروت .
- السيرة الشامية ، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، ط١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- السيرة النبوية ، ابن هشام ، اعتنى بها د. عمر عبد السلام تدمري ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، دار الريان ، القاهرة .
- شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، جمعه وقدم له د. يحيى الجبوري ، ط١ ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م .٣
- الصحابة من الأنصار ، د. حسين مؤنس ، ط١ ، ١٩٨٩م / ١٤٠٩هـ ، رابطة الجامعات الإسلامية .
- صحيح الإمام مسلم .
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، المسمى : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، تحقيق الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٦ ، ١٤٢٢هـ .
- الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، دار صادر .
- العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، تحقيق الأستاذ : محمد سعيد العريان ، دار الفكر ، مصورة مكتبة الرياض الحديثة .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ، تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٥ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .
- فصول من تاريخ المدينة المنورة ، تأليف علي حافظ ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م ، شركة المدينة للطباعة والنشر ، جدة .
- الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، عني به نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، ط٦ ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .
- لباب الآداب ، أسامة بن منقذ ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، بيروت ، لبنان .
- لسان العرب ، مصورة عن الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت .
- المحبر ، ابن حبيب البغدادي ، رواية السكري ، عناية د. إيلزة ليختن شتيتر ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
- مسند الإمام أحمد .بتحقيق مجموعة من المحقيقين ، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، ط١ ، ١٤٠٩هـ/١٩٩٩م ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .
- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، محمد محمد حسن شراب ، ط١ ، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار القلم ، دمشق .
- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، دار صادر ، بيروت .
- المعرفة والتاريخ ، الفسوي ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

- المغازي ، الواقدي ، محمد بن عمر ، تحقيق د. مارسدن جونس ، ط٣ ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
- المنتظم ، ابن الجوزي .
- نسب قريش ، الزبيري ، عني به إ. ليفي بروفنسال ، ط٣ ، ١٩٨٢ ، دار المعارف ، القاهرة .
- وسيلة الخليل إلى بعوث صاحب الإكليل ﷺ ، غالي بن المختار فال البستاني الأنصاري الشنقيطي ، صححه وعلق عليه الشيخ محمد عبد الله المختار فال ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن
- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، السمهودي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

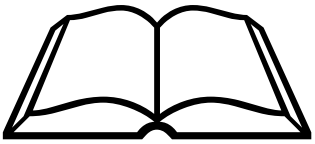

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة